

مختلف بنياته الاجتماعية والسياسية والثقافية. وبدون الوقوف عند مختلف الملابس التي طرأت على المجتمع العربي الحديث، تكفي الإشارة إلى أن بدايات التحول الاجتماعي - التاريخي تحققت مع ما عرف بعصر النهضة الذي أدخل فيه المجتمع العربي إلى العصر الحديث عن طريق الهيمنة الغربية، وما صاحبها من إحلال بنيات جديدة، واحتلال، ومطالبة بالاستقلال ونزوع نحو التحرر، وبناء مجتمع يقوم على أسس جديدة.

كان لدخول المجتمع العربي مرحلة جديدة من التطور أثره البارز في تغيير العديد من البنيات والتصورات، ومن بينها تحول نظريته إلى ذاته وتراثه، وتقييمهما في ضوء العلوم الجديدة التي بدأ العرب يأخذون بأسبابها. في هذا السياق بدأ تحول النظر إلى «النص» العربي، وتم الالتفات إلى «اللائق» واعتبر نصاً جديراً بأن يكون موضوعاً للبحث لما يقدمه من إمكانات هائلة للتعرف على الذات العربية في صيورتها، وعلى جوانب خاصة من الذات نفسها التي لم يتم الانتباه إليها، وإلى إمكاناتها في التصدي للتحولات والرهانات الجديدة.

يتجلى هذا التحول العام على أصعدة عدة، ويهمنا إبراز أهم خصائصه وتجلياته من خلال هذه الأسباب التي تولدت عنه، والتي نراها تختزل الدوافع التي حددت تحول الرؤية إلى السيرة الشعبية وانتقال النظر إليها من وضع اللانص إلى النص - الموضوع. هذه الأسباب الثلاثة هي:

1.1.2. النزوع القومي - التحرري: ألحق المجتمع العربي بالعصر الحديث قسراً عن طريق الاستعمار. وقامت حركة التحرر العربي لتواجه الاحتلال. وإذا كانت حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية ستشهد حصول العديد من الأقطار العربية على استقلالها السياسية، فإن تنامي النزوع القومي والتحرري سيدفع العديد من المثقفين العرب إلى البحث في مقومات الذات العربية وعناصر وحدتها، وتاريخها الحضاري، وذلك بغية تحصين الذات ضد الآخر (الغرب). ومن أولى المهمات التي سيضطلعون بها في هذا النطاق هي التصدي للفكر الغربي ممثلاً في أعمال بعض المستشرقين الذين كانوا يكيّدون للإنسان العربي وتاريخه وحضارته، من خلال انتقاصهم من عطاءات العرب قديماً وحديثاً. وفيما